ولكن لماذا يحارب هؤلاء الصحوة ؟ ! إنهم يريدون أن تموت هذه الصحوة ، يريدون أن لا تعرف هدفها ، وأن تضلَّ طريقها ، وأن لا تصل إلى مُرادها ، ويجب أن نفوِّت عليهم هذا الغرض .

إني لا أخشى على الصحوة من أعدائها الخارجيين ، ولكني أخاف على الصحوة من أبنائها أنفسهم ، أن يشغل بعضُهم بعضًا ، وأن تتآكل الصحوة من الداخل قبل أن تُضرب من الخارج ، يجب أن يعرف أبناء الصحوة ماذا يريدون ؟

الاهتمام بالقضايا الكبرى :

يجب أن يهتمُّوا بالقضايا الكبرى ، يهتمُّوا بالكليَّات أكثر من اهتمامهم بالجزئيات ، يهتمُّوا بالأصول قبل الفروع ، بالجوهر قبل الشكل ، بالفرائض قبل النوافل ، بالكبائر قبل الصغائر ، بالمتَّفق عليه قبل المختلَف فيه . وهذا ما أريده من أبناء الصحوة ، ومن موجِّهي الصحوة ، ومرشديها .

إنَّ خصوم الإسلام ليسوا غافلين وليسوا لاعبين ، فهم يرصدون ويدرسون ، ويخطِّطون ويعملون ، ونحن في غفلة لاهون ، وفي غمرة ساهون .

موقف أعداء الإسلام من الإسلام المعتدل :

النغمة الجديدة التي أصبحوا يقولونها الآن في بعض

الصحف الغربية : احذروا الإسلام المعتدل . وقبل قليل كانوا يقولون : احذروا الإسلام المتطرِّف . فلما بدأنا نهاجم التطرُّف ، صاروا يقولون : احذروا الإسلام المعتدل ، فإنه يبدأ معتدلا ثم يتطرَّف ، فالطبيعي في الإسلام أنه متشدِّد ، فلا تصدِّقوا الذين يقولون : إنهم معتدلون ، إنهم يبدؤون كذلك ثم ينتهون إلى التطرُّف .

هذا ما يصنعه خُصوم الإسلام وأعداؤه ، فعلينا أن نُدرك هذا جيدًا ، وعلينا أن نقف على أرض صُلبة ، أن نعرف ماذا نريد ، وأن نعرف الطريق إلى ما نريد ، وأن نقف صفًّا واحدًا أمام هذه القُوَى المعادية ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يُلهمنا الصواب ، وأن يُوفِّقنا في مسيرتنا ، وأن يُسدِّد خُطانا حتى نصل إلى ما نصبو إليه ، من نُصرة دين هذه الأمة ، وجمع كلمتها على الحقِّ والهدى ، وما ذلك على الله بعزيز .

أسأل الله الذي جعل يومنا خيرًا من أمسنا ، أن يجعل غدنا خيرًا من يومنا ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وأكتفي بهذا القدر لنفتح باب الأسئلة .

الأسئلة

تهم موجهة إلى الشيخ القرضاوي

السؤال : فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الله القرضاوي حفظه الله تعالى ، والله إني أحبُّك في الله ، كما يحبُّك الملايين من عباد الله في البحرين ، وفي كلِّ بلاد الله ، وبعد :

فإننا كثيرًا ما نسمع من الشباب ، وأحيانًا من الشيوخ ، تهمًا موجَّهة للدكتور القرضاوي ، فَحْوَاها : أنَّ الشيخ القرضاوي مُتساهل في الدين ، وأن الشيخ القرضاوي شيخٌ عصريٌّ أكثر منه سلفيٌّ ، وأن الشيخ القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم ، وأن الشيخ القرضاوي يُفتي بما يريده النَّاس على حساب ما يريده الشرع .

ويضربون لتهمهم أمثلة : أنَّ الشيخ القرضاوي يجيز إخراج زكاة الفطر نقدًا ، ويبيح التصوير الفوتوغرافي ، ويبيح الغناء ، ويبيح للنساء كشف الوجه أمام الأجانب ، ويبيح سفر المرأة للدراسة بدون محرم ، ولا يحرم التدخين ، ولا حلق اللحية ، إلى آخر هذا الكلام .

ونحن لا نريد منك ـ يا شيخنا الجليل ـ أن تدافع عن نفسك ، فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج:٣٨)، ولكنَّا نريد أن تُبيِّن ـ وبكلِّ وضوح ـ رأي الشرع في التهم الموجَّهة لك ، ولغيرك من العلماء الأفاضل ، الذين ينهجون نهجكم ، وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

الجواب : هذه أشياء ينبغي أن نبدأ بها لنوضِّحها ، وإن كانت لا تحتاج إلى إيضاح في نظري ، فطالما وضَّحتُها ، لكن لأنَّها تُهَمٌ ـ كما يقول الأخ ـ فلا بأس أن أُبيِّن وأوضِّح .

بداية أشكر الأخ الذي بدأ رسالته بقوله : أُحبك في الله ، كما يُحبك الملايين من عباد الله . فأقول : أسأل الله لك ولأمثالك أن يحبَّكم الله سبحانه وتعالى ، وأن يجعل حُبَّنا في ذاته ، وفي سبيله ، ولمرضاته ، وأن يُظلَّنا ببركة هذا الحبِّ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه .

التهمة الأولى : القرضاوي متساهل في الدين :

قالوا : إنِّي متساهل في الدين ، والواقع أن مسألة التساهل وعدم التساهل من الأمور النِّسبيَّة ، فهناك من النَّاس مَن يتهمني بالتشدُّد ، وهذه مشكلة مَن يقف الموقف الوسط دائمًا ، فهو لا يُعجب أهل اليمين ، ولا يُعجب أهل الشِّمال .

جاءني أحد الإخوة بمجلَّة كُتِب فيها : إن يوسف القرضاوي من المتطرِّفين الذين يعيشون في الخليج . فاعتبرتني من المتطرِّفين ، وهذا ليس بمستبعَد ، فكثير من النَّاس لا يعجبهم هذا ولا هذا .

ولكن في الحقيقة لا أعتبر نفسي متساهلاً ، ولكن أعتبر نفسي مُيسِّرًا ، والنَّاس تختلف في مسألة التشديد والتيسير ، فهي طبائع بشرية ، فالفقهاء فيهم المتشدِّد والميسِّر ، بل وكان في الصحابة ابن عباس رضي الله عنهما مُيسِّرًا ، وابن عمر رضي الله عنهما مشدِّدًا .

كان ابن عمر في الحج يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى[1] . فلما سُئل عن ذلك ، قال : هوت الأفئدة إليه فأريد أن يكون فؤادي معهم[2] .

وابن عباس يقول : لا يؤذِي ولا يؤذَى[3] . فهذه طبائع .

---

(١) عن ابن عمر قال: لا أدع استلام هذين الركنين منذ رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمهما . قال نافع : فكان ابن عمر يزاحم على الركنين حتى يرعف ، ثم يجيء فيغسله . رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٤). وعن طلحة ابن إسحاق بن طلحة قال : سألت القاسم بن محمد عن الزحام على الركن فقال : زاحم يا ابن أخي ، فقد رأيت عبد الله بن عمر يزاحم حتى يدمى أنفه . رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٧٦/٣) .

(٣) كان ابن عباس يقول : إذا وجدتَ على الركن زحاما ، فلا تؤذِ أحدا ولا تؤذَ وامضِ . رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨) .

قال ابن القيم : (كان هذان الصاحبان الإمامان (ابن عمر وابن عباس) : أحدهما يميل إلى التشديد والآخر إلى الترخيص ، وذلك في غير مسألة . وعبد الله بن عمر كان يأخذ من التشديدات بأشياء لا يوافقه عليها الصحابة ، فكان يغسل داخل عينيه في الوضوء حتى عمي من ذلك ، وكان إذا مسح رأسه أفرد أذنيه بماء جديد ، وكان يمنع من دخول الحمام ، وكان إذا دخله اغتسل منه ، وابن عباس : كان يدخل الحمام .

وكان ابن عمر يتيمم بضربتين ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين إلى المرفقين ، ولا يقتصر على ضربة واحدة ، ولا على الكفين ، وكان ابن عباس يخالفه ويقول : التيمم ضربة للوجه والكفين .

وكان ابن عمر يتوضأ من قبلة امرأته ويفتي بذلك ، وكان إذا قبل أولاده تمضمض ثم صلى ، وكان ابن عباس يقول : ما أبالي قبلتها أو شممت ريحانا[1].

وكان يأمر من ذكر أن عليه صلاة وهو في أخرى أن يتمها ثم يصلي الصلاة التي ذكرها ثم يعيد الصلاة التي كان فيها ، وروى أبو يعلى الموصلي في ذلك حديثا مرفوعا في

(١) رواه عبد الرزاق في الطهارة (٥٠٥) .

«مسنده»[1] ، والصواب أنه موقوف على ابن عمر . قال البيهقي : وقد روي عن ابن عمر مرفوعا ولا يصح ، قال : وقد روي عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح[2] . والمقصود أن عبد الله بن عمر كان يسلك طريق التشديد والاحتياط .

وقد روى معمر ، عن أيوب ، عن نافع عنه ، أنه كان إذا أدرك مع الإمام ركعة أضاف إليها أخرى ، فإذا فرغ من صلاته سجد سجدتي السهو[3] . قال الزهري : ولا أعلم أحدا فعله غيره)[4] .

الإسلام دين اليسر :

وأنا بطبيعتي جعلني الله ميسرا ، وأرى أن الإسلام دين يسر ،

---

(١) رواه أبو يعلى في معجمه (١١٠)، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو مع الإمام ، فإذا فرغ من صلاته فليعد الصلاة التي نسي ، ثم ليعد الصلاة التي صلاها مع الإمام». قال البيهقي في السنن (٢/٢٢١) : تفرد أبو إبراهيم الترجماني برواية هذا الحديث مرفوعا ، والصحيح أنه موقوف من قول ابن عمر . وكذا قال الدارقطني في العلل (١٣/٢٤) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٢/٢٢١، ٢٢٢) .

(٣) رواه عبد الرزاق في الصلاة (٣٣٩٧ ، ٣٣٩٨)

(٤) زاد المعاد (٢/٤٥، ٤٦) . طبعة الرسالة ، الطبعة الخامسة والعشرون ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

فاليُسر ليس شيئا غريبا على طبيعة الإسلام ، بل قامت شرائع الإسلام كلُّها على اليسر .

لذلك نرى في ختام آية الصيام : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة:١٨٥) .

وفي ختام آية الطهارة : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ (المائدة:٦).

وفي ختام سورة الحج : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج:٧٨)، وهكذا .

ويقول الرسول ﷺ : « إني أرسلتُ بحنِيفيَّةٍ سمْحة »[١].

وقام أعرابي فبال في المسجد فتناوله النَّاس ، فقال لهم النبي ﷺ : « دعوه وأهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء ، أو ذَنوبًا من ماء ، فإنما بعثتم ميسِّرين ، ولم تبعثوا معسِّرين »[٢].

وقال النبيُّ ﷺ لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما ، حين أرسلهما إلى اليمن : « يسِّرا ولا تُعسِّرا ، وبشِّرا ولا تُنفِّرا »[٣].

---

(١) رواه أحمد(٢٤٨٥٥)، وقال مخرّجوه : حديث قوي وهذا سند حسن ، عن عائشة .

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢١) ، وأحمد(٧٢٥٥) ، وأبو داود (٣٨٠) ، والترمذي (١٤٧) ، والنسائي (٥٦) ، كلاهما في الطهارة، عن أبي هريرة .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري (٣٠٣٨) ، ومسلم (١٧٣٣) ، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى .

هذه وصية تشمل التيسير لا التعسير ، والتبشير لا التنفير ، وهذا هو منهجي في الفتوى أو الدعوة .

هناك بعض النَّاس حينما يدعون ، يُغلِّبون جانب الترهيب على جانب الترغيب ، النَّار تُذكر أكثر مما تُذكر الجنَّة ، جانب الوعيد يغلب جانب الوعد ، فيُفهم منهم دائما أن الله شديد العقاب ، ويُغفل أن الله غفور رحيم ، والرسول ﷺ قال : « بشّروا ولا تنفّروا »[1] .

الحاجة إلى التيسير في هذا العصر :

فأنا أقول : الإسلام قام على التيسير ، ونحن في حاجة إلى التيسير وخاصة في هذا العصر ، لأننا في عصر رقَّ فيه الدِّين ، وضَعُف فيه اليقين ، وأقبلتْ الدنيا على النَّاس ، وطغت الماديَّة ، واختلط المسلمون بغيرهم ، وأثَّرتْ فيهم الحضارات الأخرى ، فأصبح النَّاس في حاجة إلى أن تيسِّر لهم ، حتى تشجِّع النَّاس على الخير .

فتوى المسح على الجورب :

لقد أفتيتُ شخصا بأن يمسح على الجَوْرب ، وهو ما أَفتَى به عشرة من الصحابة ، وبعد أن أفتيته ، قال : والله لقد كنتُ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في العلم (٦٩) ، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤) ، عن أنس .

أتكاسل عن الصلاة ، وخاصة في العمل ؛ لأن مشكلة الصلاة في الوضوء ، ومشكلتي في الوضوء غسل الرجلين .

وخاصة عند لابسي البنطال ، ومع وجود الأحواض العالية ، فيصعب عليه أن يرفع قدميه ، فيجد أهون ما عليه ، أن يترك الصلاة تكاسلاً ، فقلتُ له : البسهما على طهارة ثم امسح عليهما .

فهذا من التيسير ، ولماذا لا نيسِّر على النَّاس ، وقد يسَّر عليهم ربهم ، وما دام لنا في تيسيرنا أسوة وقدوة بمَن سبقونا .

فأنا أزعم أني لستُ متساهلا في الدين والحمد لله ، وإنما أنا مُيسِّر ، وهذا ما جاء به الإسلام . هذه هي التهمة الأولى ، وأظن أني منها بريء .

التهمة الثانية : الشيخ القرضاوي شيخ عصري أكثر منه سلفي :

أنا لا أرى تعارضا بين السلفية والمعاصرة ، بل على العكس ، فالسلفية تكون دائمًا مجدِّدة ، والتجديد يكون دائما سلفيًّا ، والمُجدِّدون هم الذين يدعون النَّاس إلى اتباع السلف ، وأكبر مدرسة تجديدية في التاريخ الإسلامي ، هي مدرسة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتلاميذهم .